حكايات تراثية

٧

فقير يتزوج بنت الملك

الدكتور
محمد عمر الحاجي

رسوم : إياد عيساوي

الطبعة الأولى

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية ـ دمشق ـ حلبوني ـ جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ ـ هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ ـ فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

(دَعْدٌ) تَتَوَسَّلُ إِلَىٰ خَالَتِهَا

في سَهْرَةٍ عَائِلِيَّةٍ ضَمَّتْ غَالِبِيَّةَ أَفْرَادِ ـ أَوْلادِ وَأَحْفَادِ ـ الشَّيْخ عَلِيٍّ ، وَكَانَ ذٰلِكَ في البَيْتِ الشَّامِيِّ القَدِيْمِ ، حَيْثُ نَافُورَةُ المَاءِ في مُنْتَصَفِ البَحْرَةِ ، وَفَوْقَهَا أَغْصَانُ شَجَرَةِ اليَاسَمِيْنِ مُتَدَلِّيَةً عَلَىٰ المَاءِ الأَزْرقِ... وَ... رَاحَتْ (دَعْدٌ) تَلْتَصِقُ بِخَالَتِهَا (أُمِّ النُّوْرِ) ،

ولَمَّا رَأَتْهَا وَالِدَتُهَا تَفْعَلُ ذٰلِكَ ، قَالَتْ لَهَا: مَالَكِ يا بنيَّتيْ؟! كَأَنَّكِ تُرِيْدِيْنَ مِنْ خَالَتِكِ شَيْئاً؛ فَلِمَاذَا أَنْتِ خَجْلَىٰ؟ قَوْلِيْ مَا تُرِيْدِيْنَ بِكُلِّ صَرَاحَةٍ ، فَخالَتُكِ تَتَقَبَّل ذٰلِكَ بِصَدْرٍ رَحْبٍ ، خَاصَّةً وَأَنَّها تُحبُّكِ كَثِيْراً.

فَهَمَسَتْ (دَعْدٌ) في أُذُنِ خَالَتِهَا ، وَرَجَتها ، وتَوسَّلَتْ إِلَيْهَا أَنْ تَحْكِيَ لَهَا ، ولكلِّ الأَوْلادِ حِكَايَةً تُرَاثِيَّةً ، سَمِعَتْها مِنَ الجَدَّةِ ، أَوِ الجَدِّ.

ابْتَسَمَتْ (أُمُّ النُّوْرِ) وَهَزَّتْ رَأْسَهَا ، وَوَافَقَتْ عَلَىٰ طَلَبِ (دَعْدٍ) ، وَقَالَتْ لَهَا:

لا بَأْسَ أَنْ تَجْمَعي الأَوْلادَ في الرَّدْهَةِ الكَبِيْرةِ فكُلُّهُمْ يُحِبُّون القِصَصَ والحَكَايَا... ، وبَعْدَ دَقَائِقَ كَانَ جَمِيْعُ الأَولادِ يَجْلِسُونَ في الرَّدْهَةِ ، وبَدَأَتِ الخَالَةُ (أُمُّ النُّورِ) تَرْوِي لَهُمْ هَذِهِ الحِكايَةَ:

فِي الجَامِعِ الأَزْهَرِ

كَانَتْ هُنَاكَ أُمٌّ لَهَا ابْنٌ وَحِيْدٌ اسْمُهُ: (حَسَنٌ) ، فَكَانَتْ تَرْعَاهُ وتَخَافُ عَلَيْهِ حَتَّى مِنَ الهَوَاءِ العَلِيْلِ!

وَذَاتَ يَوْمٍ رَجَعَ الوَلَدُ مِنَ المَدْرَسَةِ

وقَالَ لأُمِّهِ: أُرِيْدُ السَّفَرَ مِنْ دِمَشْقَ إلىٰ مِصْرَ ، فَقَالَتْ لَهُ الأُمُّ: وَمِنْ أَيْنَ لَكَ المَالُ وَنَحْنُ لا نَمْلِكُ الدَّنَانِيْرَ والدَّراهِمَ؟! وَأَصَرَّ (حَسَنٌ) علىٰ السَّفَرِ ، فَقَدْ أَقْنَعَهُ صَدِيْقُهُ (مُحَمَّدٌ) بِضَرُوْرَةِ التَّعَلُّمِ في جَامِعِ الأَزْهَرِ.

وَمَا هِيَ إلا أَيَّامٌ حَتَّى سَافَرَ (حَسَنٌ) إلىٰ القَاهِرَةِ ، وَهُنَاكَ اسْتَأْجَرَ مَحَلاً تِجَارِيَّاً بِالقُرْبِ مِنَ الجَامِعِ الأَزْهَرِ ، فَكَانَ يَبِيْعُ فِيْهِ ، وَيَدْرُسُ في الأَزْهَرِ.

وَلمَّا أَتْقَنَ تِلاوَةَ القُرْآنِ الكَرِيْمِ ـ تَرْتِيْلاً ، وتَجْوِيْداً؛ رَاحَ يَقْرَأُ في مَحلِّهِ

كُلَّ يَوْمٍ شَيْئاً مِنَ القُرْآنِ بِصَوْتٍ عَذْبٍ ، وَكَانَ مَلِكُ مِصْرَ يَأْتِي كُلَّ يَوْمِ جُمُعَةٍ إلىٰ الجَامِعِ. وَكَانَ يَدْخُلُ إلىٰ مَحَلِّ (حَسَن) فيَشْرَبُ كَأْساً مِنَ العَصِيْر وَهُوَ يَسْتَمِعُ إلىٰ الصَّوْتِ العَذْبِ.

وَلَمَّا عَلِمَ الوَزِيْرُ بِذَلِكَ اغْتَاظَ ، فَذَهَبَ إلى المَلِكِ ، وَقَالَ لَهُ: إنَّ النَّاسَ يَتَحَدَّثُونَ: أَنَّ ابْنَتَكَ تُحِبُّ بَائِعَ العَصِيْرِ!

فَغَضِبَ المَلِكَ ، وَأَمَرَ أَنْ يُقْطَعَ رَأْسُ (حَسَن) ، وَأَنْ يُؤتَىٰ بِدَمِهِ في زُجَاجَةٍ!

وَتَشَاءُ الأَقْدَارُ أَنْ تَسْمَعَ ابْنَةُ المَلِكِ الحَدِيْثَ الَّذي دَارَ بَيْنَ وَالِدِهَا وَبَيْنَ وَزِيْرِهِ ، فَأَرْسَلَتِ الخَادِمَ إلىٰ (حَسَنَ) وَأَخْبَرَتْهُ أَنْ يَقُوْلَ لَهُ علىٰ لِسَانِهَا: اقْفِلِ المَحَلَّ فَوْراً ، وَتَعَالَ إليَّ.

وَرَفَعَ المَلِكُ العَلَمَ الأَبْيَضَ!!

وَلَمَّا وَصَلَ إلىٰ القَصْرِ؛ وَضَعَتهُ في غُرْفَةٍ خَاصَّةٍ في الطَّابِقِ السُّفْلِيِّ ، وَرَاحَتْ تَأْتِيْ لَهُ بِكُتُبِ أَبِيْهَا كَيْ يَدْرُسَ بِهَا.

أَمَّا الوَزِيْرُ الخَبِيْثُ؛ فَعِنْدَمَا وَصَل

إِلىٰ مَحلِّ (حَسَن) وَجَدَهُ مُغْلَقاً ، فَخَافَ مِــنَ الفَضِيْحَــةِ ، وَالعِقَــابِ ، فَقَتَــلَ عُصْفُوراً ، وَوَضَعَ دَمَهُ في زُجَاجَةٍ ، وَجَاءَ بِهَا إِلىٰ المَلِكِ ، فَلَمَّا رَآهَا فَرِح كَثِيْراً.

وَبَعْــد فَتْــرَةٍ وَجِيْــزَةٍ ، كــانَ مَلِــكُ (إستَنْبُــول) قَــدِ احْتَــاجَ إِلــىٰ المَــالِ ، فَأَرْسَلَ إِلىٰ مَلِكِ مَصْرَ أَسْئِلَةً تَعْجِيْزِيَّةً ، وَقَالَ لَهُ: إِذَا لَمْ تَعْرِفِ الإِجَابَةَ عَنْهَا قَطَعْتُ رَأسَكَ ، وَأَخَذْتُ مَالَكَ!

وَلَمَّا وَصَلَتِ الرِّسَالةُ إِلىٰ مَلِكِ مِصْرَ

أُصِيْبَ بالحَيْرَةِ ، فَمَا كَانَ مِنْ ابْنتِهِ الذَّكِيَّةِ إلا أَنِ انْتَظَرَتْ حَتى نَامَ وَالِدُهَا ، فَأَخَذَتِ الرِّسَالةَ إلىٰ (حَسَن) وَأَخْبَرَتْهُ بِمَا جَرَىٰ ، فَحَلَّ المُعْضِلَةَ ، وَأَجَابَ عَنِ الأَسْئِلَةِ.

وَفَرِحَتِ الأَمِيْرَةُ بِذٰلِكَ ، وَأَخَذَتِ الأَجْوِبَةَ إلىٰ وَالِدِهَا.

وَكَادَ الملِكُ أَنْ يَطِيْرَ مِنَ الفَرَحِ ، وعلى الفَوْرِ أَرْسَلَ الأَجْوِبَةَ إلى مَلِكِ إسْتَنْبُولَ ، وبِذَلِكَ تجاوزَ مَلِكُ مِصْرَ الأَزَمَةَ.

وَبَعْدَ فَتْرَةٍ مِنَ الزَّمَنِ أَرْسَل مَلِكُ إِسْتَنْبُول إِلىٰ مَلِكِ مِصْر مُعْضِلةً أُخْرَىٰ. وَمُلَخَّصُها: هَاتَانِ فَتاتَانِ لا تَتَكلَّمَانِ العَرَبِيَّة ، وَعَلَيْكَ أَنْ تُمَيِّزَ بِنْتَ الخَالِ مِنْ بِنْتِ العَمَّةِ!

وَاحْتَارَ المَلِكُ بالأَمْرِ ، فَتَسَلَّلَتِ الأَمِيْرَةُ إِلىٰ حَيْثُ يُوْجَدُ (حَسَن) ، وَأَخْبَرَتْهُ بالمُصِيْبَةِ الجَدِيْدَةِ ، فَقَالَ: هَوْناً عَلَيْكِ يَا أَمِيْرَتِيْ! فالمَسْأَلَةُ أَبْسَطُ مِنْ ذٰلِكَ بِكَثِيْرٍ ، اطْبُخِي لَهُمَا مَأْكُوْلاتِ الزَّيْت ، وَضَعِيْ المِلْحَ ، وَالفُلْفُلَ مَعَ البُرْغُلِ ، وَلا تَضَعِي مَاءً

عَلَىٰ المَائِدَةِ ، ثُمَّ أَحْضري لَهُمَا ماءً ، فَمَنْ تَسْقي الثَّانِيةَ ماءً هِيَ بِنْتُ الخَالِ!

وَلَمَّا وَصَلَ الجَوَابُ إِلىٰ مَلِكِ إستَنْبُولَ؛ رَفَعَ العَلَم الأَبْيَض عَلامَةً عَلَىٰ انْتِصَارِ مَلِكِ مِصْرَ.

أيُّهُمَا سَيْفُ المَلِكِ؟!

وَبَعْدَ فَتْرَةٍ وَجِيْزَةٍ أَرْسَلَ مَلِكُ إِسْتَنْبُولَ رِسَالةً إِلَىٰ مَلِكِ مِصْرَ ، يَطْلُبُ فِيْهَا مَعْرِفَةَ سَيْفِ المَلِكِ مِنْ سَيْفِ الوَزِيْرِ.

وَاحْتَارَ مَلِكُ مِصْرَ في هٰذِهِ المُعْضِلَةِ

فكِلا السَّيْفَيْنِ مَصْنُوْعَانِ مِنْ مَادَّةٍ وَاحِدَةٍ ، وَبِالتَّالي فَهُمَا مُتَشَابِهَانِ و...! وَمِنَ الصُّعُوْبَةِ بِمَكانٍ التَّمْيِيْزُ بَيْنَهُما. واسْتَشَارَ مَلِكُ مِصْرَ أعْوَانَهُ ، وَمُسْتَشَارِيْهِ ، لَكِنْ دُوْنَ جَدْوىٰ.

فَمَا كَانَ مِنِ ابْنَتِهِ إلا أَنْ أَخْبَرَتْ (حَسَن) بِمَا حَصَلَ ، فَقَالَ لَهَا: أَحْضِرِي كَلْباً ، واضرِبي رَأسَهُ بِالسَّيْفِ ، فَإنْ قَطَعَهُ مِنْ أَوَّلِ ضَرْبَةٍ فَإنَّه يَكُوْنُ سَيْفَ المَلِكِ ، وَإنْ لَمْ يَقْطَعْ فَهُوَ سَيْفُ الوَزِيْرِ!

وَقَامَتِ الأَمِيْرَةُ بِمَا دَلَّها عَلَيْهِ (حَسَنَ) وَلَمَّا أُرْسِلَ السَّيْفَانِ إلىٰ مَلِك

إسْتَنْبُولَ ، رَفَعَ العَلَم الأَبْيَضَ دَلِيْلاً عَلَىٰ فَوْزِ مَلِكِ مِصْرَ.

إِنَّهُ دَمُ عُصْفُورٍ يَا سَيِّدِي!!

وَيَوْماً بَعْدَ يَوْمٍ كَانَ مَلِكُ مِصْرَ يَزْدَادُ تَعَجُّباً مِنْ ذَكَاءِ ابْنَتِهِ الوَحِيْدَةِ. فَسَأَلَهَا: يَا بُنَيَّتِي! أُرِيْدُ مِنْكِ أَنْ تصارِحِيْني في أَمْر يُقْلِقُنِيْ.

ابْتَسَمَتِ الأَمِيْرَةُ ، وقَالَتْ: لَقَدْ عَرَفْتُهُ ، إِنَّهَا الأَجْوِبَةُ الصَّحِيْحَةُ ، فَإِذَا أَعْطَيْتَنِيْ مِنْدِيْلَ الأَمَانِ؛ فَسَأُخْبِرُكَ بالحَقِيْقَةِ كَامِلَةً.

فَأَعْطَاهَا مِنْدِيْلَ الأَمَانِ ، فَأَخْبَرَتْهُ بِمَا حَصَلَ. فَأَمَرَ بِإِحْضَارِ بَائِعِ العَصِيْرِ حَسَن ، فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِ ، وَقَالَ لَهُ: لا أجِدُ شَاباً كُفْئاً لابْنَتِي الوَحِيْدَةِ أكْثَرَ مِنْكَ يَا حَسَنُ!

وَأَمَرَ المَلِكُ فَأُقِيْمَ حَفْلٌ كَبِيرٌ بِزَوَاجِ بِنْتِ المَلِكِ مِنْ بَائِعِ العَصير. ثُمَّ أَمَرَ بِالوَزِيْرِ لِلْمُثُولِ أَمَامَ المَلِكِ ، فَسَأَلَهُ عَنِ الدَّمِ الَّذِيْ أَحْضَرَهُ لَهُ ، فَاعْتَرَفَ الوَزِيْرُ ، وَقَالَ: إِنَّهُ دَمُ عصْفُورٍ يا سَيِّدي!!

فَأَمَرَ المَلِكُ بِقَطْعِ رَأْسِ الوَزِيْرِ الكاذِبِ ، وَرَتَّلَ (حَسَن) قَوْلَ اللهِ تَعَالى:

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾

[الزلزلة: ٧ ـ ٨] .

والحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالمِيْنَ

* * *